

مجلّة الواحات للبحوث والدراسات
ردمد 7163- 1112 العدد 15 (2011) : 294 - 304
http://elwahat.univ-ghardaia.dz

انعكاسات انتقال الأسرة الصحراوية من العائلة الموسعة إلى الأسرة الزواجية على الصحة النفسية للأفراد

مقاربة سوسيو أنثروبولوجية –نفسية– أمدينة تقرت وادي ريغ نموذجا

يوسف قدوري[1] و أسية خرشة [2]
1 -قسم علم النفس المركز الجامعي لغرداية
2 -قسم علم النفس جامعة الجزائر02
غرداية ص ب 455 غرداية 47000 ,الجزائر

1- مشكلة الدراسة:

يعد الاضطراب النفسي من بين التحديات التي واجهتها وتواجهها الإنسانية، بالرغم من التطور التكنولوجي ومستوى التحضر والتقدم والرفاهية الذي بلغته في عصر تكنولوجيا الاتصال، حيث اختزلت فيه المسافات بين ثقافات الشعوب، وجعلت المعلومات تتدفق وتنتقل بأقل جهد وأيسر تكلفة وفي أسرع وقت ممكن، وإن كان هذا يشكل الوجه التقني والإيجابي للعولمة بكافة أبعادها وأشكالها، فأنها في ذات الوقت جلبت معها التعاسة ومشقة الحياة وزيادة المعاناة من الضغوط، وزيادة انتشار الاضطرابات النفسية والانحرافات الاجتماعية خاصة في البلدان الأقل تقدما وفق تقارير السنوات الأخيرة لمنظمة الصحة العالمية (OMS) نتيجة لضعف تحكمها ومواجهتها لتحديدات المرحلة الراهنة وصعوبة الاستجابة كما وكيفا وفي الوقت المناسب لسد حاجات أفرادها المتزايدة والمتغيرة باستمرار من جهة، ومن جهة أخرى قلة إمكانياتها في التعامل وتحقيق التوافق مع المواقف المستجدة، والتي من شأنها أن تنعكس سلبا على صحتهم وأدوارهم داخل الأنساق التنظيمية لمؤسسات التنشئة الاجتماعية بدءًا بالأسرة التي قد تشكل عاملا لظهور الاضطرابات النفسية لدى الأبناء.

وقد شهدت الأسرة الجزائرية عموما والصحراوية خصوصا منذ مطلع الاستقلال تحولات في نسقها التنظيمي والعلائقي بفعل التغيرات الاجتماعية والاقتصادية المستمرة السريعة والمفاجئة،

التي فرضت نفسها على المجتمع ومؤسساته، وأنتجت أساليب عيش وتنوعًا في الحاجات وزيادة في التطلعات والطموحات المستقبليّة خاصة لدى فئة الشباب من جهة، ومن جهة أخرى تعتقد أسلوب الحياة، مما ساهم في زيادة انتشار الاضطرابات النفسية والاجتماعية، فعلى سبيل المثال لا الحصر، تم إحصاء (2336) وصفة طبية في وحدة الأمراض النفسية والعقلية التابعة للقطاع الصحي لولاية ورقلة، (تقرير عن مديرية الصحة لولاية ورقلة، **2003–2006**).

كما تعد الجريمة والعنف وتعاطي المخدرات والإدمان عليها مظاهر أخرى مظاهر الاضطرابات النفسية والاجتماعية، فالجريمة ارتفعت نسبتها في الجزائر بشكل لفت انتباه الدارسين والباحثين، فقد أشارت الإحصائيات أن معدلها سوف يشهد ارتفاعا في الفترة ما بين 2005 حتى 2010 إلى نسبة 18.8%.

وبينت إحصائية أخرى أنّ حالات العنف في المدارس والتي سجلت على مستوى المركز الاستشفائي الجامعي بباب الواد، بلغت 2005 حالة عنف وضرب. (عبد الكريم قريشي وعبد الفتاح أبي مولود: **2005** ص **332**).

كما أن ظاهرة تعاطي المخدرات والإدمان عليها والمتاجرة بها، أصبحت تشكل خطرا مهددا لصحة الأفراد والمجتمعات "حيث سجلت في الجزائر نسبة 58,65 من الشباب الذين تقل أعمارهم عن 35 عاما وقدموا إلى المحاكمة كأشخاص متورطين في قضايا المخدرات، وذلك من أصل 59804 قضية محصاة خلال الفترة ما بين 1994 و2001. (الديوان الوطني لمكافحة المخدرات وإدمانها، **2001).**

بالرغم من هذا، تبقى هذه الأرقام والنسب لا تعكس حقيقة الواقع الذي لم يصرح به بشأن انتشار الاضطرابات النفسية والاجتماعية، هذا يتطلب منا المزيد من الاهتمام والبحث لإيجاد تفسير وفهم أعمق من أجل الكشف عن أسبابها وعواملها، لذلك يعد المنحى التوافقي وسيلة أكثر فعالية لتحليل مختلف العوامل التي تساهم في إحداث وظهور الاضطراب.

"ويعد نموذج الاستعداد –المشقة Diathesis-Stress الذي قدمه (روزينتال **Rosenthal, 1970**) **لتفسير الفصام على وجه التحديد الذي يرى أنّ هناك مصادر بيئية متعددة تشارك الاستعداد الوراثي (الاستهداف) في إحداث الكثير من الأمراض النفسية ومنها أحداث الحياة والتفاعلات الأسرية والعوامل البيئية الممرضة".** (جمعة سيد يوسف، **2001**).

وتعد الأسرة الجماعة الأولية التي من المتوقع أن يتعلم فيها الأبناء المهارات الاجتماعية السوية التي تمكنهم من مواجهة المواقف الضاغطة من خلال ما تقدمه لهم من دعم ومساندة نفسية وشعورهم بالانتماء والأمن والحماية والاستقرار والتقدير، كحاجات أساسية للفرد لتحقيق ذاته وتحقيق توافق الذات مع بيئتها التي تتفاعل معها، أو أنها (الأسرة) تساهم في تعليم سلوكات

اجتماعية خاطئة وتكوين خبرات عصابية مبكرة لدى الأبناء من خلال الملاحظة والاحتكاك بالنماذج الوالدية الحية الخاطئة وتقليدهم لها (التعلم الاجتماعي) والتي قد تشكل عاملا باثولوجيا يشارك في نشأة أرضية للاضطراب النفسي.

في هذا السياق "يشير (محمود عبد الرحمن محمود وإلهامي عبد العزيز، **1992**) إلى أنه يوجد عاملا وطيدا بين أساليب التنشئة الوالدية والاضطرابات النفسية عند الأبناء وهو ما أسماه (شولمان، **Deviaut-Persoul, 1968**) بالقيم الشخصية أو القناعات الشخصية المنحرفة التي يكونها الفرد بنفسه خلال سياق تعليمها له كيف يستجيب في المواقف المختلفة، وهذه **values** القيم الشخصية إذا كانت سوية أو صحيحة فإنها تساعد الفرد على أن يتوافق مع بيئته ويسلك سلوكا سويا، أما إذا كانت غير سوية أو منحرفة أولا اجتماعية فإنها تكون عاملا من عوامل الاضطراب النفسي" (عبد الفتاح أبي مولود، **2000**، ص **32**).

من خلال هذا تهدف الدراسة الحالية إلى محاولة إلقاء الضوء على انعكاسات انتقال الأسرة الصحراوية من العائلة الموسعة إلى الأسرة الزواجية على الصحة النفسية تلك الأسرة الصحراوية التي كانت وفق نمط الأسرة الممتدة والتي كانت تشكل عاملا واقيا لظهور الأعراض السيكوباثولوجية،وانتقلت إلى نمط الأسرة النووية التي فشلت في القيام بدور الأسرة الممتدة كسند للأفراد وبالتاي تكيفهم وتوافقهم النفسي والاجتماعي.

2-إشكالية الانتقال من العائلة الموسعة إلى الأسرة الزواجية:

إن الدارس للعائلة الجزائرية يتبين أن هذا النظام المجتمعي والذي يتمثل في نسق يجمع عدة بنيات أسرية وعلاقات فرابية أفقيا وعموديا من جانب الذكور والإناث على حد سواء إنما هو الوسط الأساسي لنمو شخصية الفرد، فالعائلة الموسعة دور كبير في تحقيق الحاجيات الأساسية للفرد، فهي التي كانت توفر له الغذاء والأمن من خلال التعاون بين أفراد العائلة أو ما يمكن تسميته بالتقسيم العائلي للعمل، فالعائلة كانت تشكل نسقا وظيفيا يؤدي داخله كل فرد دورا معينا، فانتقالها من بنية موسعة إلى بنية محدودة الوظائف (الأسرة الزواجية)، جعلها غير قادرة على توفير هاتين الحاجتين للفرد بسبب تغير لظروف الحياتية، فقد تظهر أعرض مرضية خاصة بالمجتمع وبالفرد وذلك ما نسميه بالعوارض المرضية **les phénomènes pathologiques** (إبراهيم بويحياوي، **2006**، ص **295**- **296**)

من هذه المنطلقات يمكننا أن نحدد مجال كلامنا، من خلال عرضنا هذا الذي نقدمه أمامكم نحاول أن نبرز فيه مسألتين:

1- دور العائلة الموسعة في تحقيق التوازن الاجتماعي للفرد.

2- عدم نجاعة الأسرة النواة في مواجهة العوارض المرضية.

لكن قبل ذلك لابد من التعريج على جملة من المفاهيم على النحو التالي:

3-تعريف الأسرة:

الأسرة من الناحية اللغوية وكما جاء في لسان العرب مشتقة من الأسر، والأسر لغة يعني القيد، الأسرة الدرع الحصينة الإسار ما شد بها لإسار هو القيد ومنه الأسير، الأسرة عشيرة الرجل وأهله ومنه اشتقت كلمة الأسرة

(ابن منظور، ب ت، ص **60**)، **ويرى** (فوجل) (**fojelle**) **"بأنها وحدة بنائية تتكون من رجل وامرأة يرتبطان برباط الزواج مع أطفالهما "** (محمد بومخلوف، **2006**، ص **75**)

3-1 تعريف الأسرة النووية: nuclear family يتفق علماء الاجتماع على أن الأسرة النووية هي " الأسرة التي تتكون من الزوج والزوجة وأبنائهما غير المتزوجين وتعتبر النواة الأولى للمجتمع الإنساني ويطلق عليها اسم الأسرة الزواجية conjugal family أو الأسرة الصغيرة وتتألف من الزوج والزوجة وأولادهما المباشرين(ابن منظور، ب ت، ص **60**)

3-2 تعريف الأسرة الممتدة: extendede family هي الأسرة التي تجمع في كيان واحد أكثر من أسرة أي تضم ثلاثة أجيال حينما تضم الأجداد وأبنائهم الغير المتزوجين وأبنائهم المتزوجين أو أبناتهم وكذا احفاذهم أو أسرة مركبة من أسرتين نوويتين أو أكثر بصرف النظر عما إذا كانت تنتمي لنفس الجيل والى جيلين مختلفين" (محمد بومخلوف ،مرجع سابق، ص 75)

3-3 الصحة النفسية: في عام (1948) عرفت منظمة الصحة العالمية "الصحة" بأنها "حالة من تكامل الإحساس الجسدي و النفسي والاجتماعي وليس فقط حالة الخلو من المرض والعاهة" (سامر جميل رضوان ،**2009**، ص **25**)

3-4 تعريف منظمة الصحة العالمية Word Heath Organisation:

الصحة النفسية هي توافق الأفراد مع أنفسهم و مع العالم عموما مع حد أقصى من النجاح والرضا و الانشراح و السلوك الاجتماعي السليم مع القدرة على مواجهة حقائق الحياة وقبولها. (صبرة محمد علي و أشرف محمد عبد الغني شريت، **2004**، ص **26**)

لا شك أن دراسة مثل هذه المواضيع – إشكالية الانتقال من الأسرة الممتدة إلى الأسرة الزواجية وانعكاساته على الصحة النفسية للأفراد – هذا النوع من الطرح يحتاج إلى معالجة الإشكاليات التي يثيرها وذلك بالدراسات الميدانية، وفي غياب هذه الدراسات سنحاول طرح التصورات المتعلقة بهذه الجوانب.

لا يمكننا فهم التوازن الاجتماعي للفرد إلا بفهم بعض المسائل التي لها علاقة بمواقف الفرد داخل الجماعة منها لعب الدور وتحقيق المكانة.

إن التوازن النفسي والاجتماعي يقوم على أساس القدرة التي تمنحها التنشئة الاجتماعية للفرد في تحقيق ذاته الاجتماعية من خلال لعب الأدوار المكتسبة والاندماج والتكيف، فالذات الاجتماعية تعني الشخصية القاعدية المتشكلة من مجموعة سلوكات محددة مسبقا تتطابق مع ما يقتضيه المجتمع من حيث هو إطار التبادل والتفاعل بين الأفراد من اجل تحقيق الحاجيات الأساسية في إطار التعبير عن الذات، هذا من ناحية، كما تعمل من ناحية أخرى، البنية النفسية – الاجتماعية للفرد على تفاعله تفاعلا يتماشى وما تقتضيه العلاقات الاجتماعية من تعاون بالخصوص وانضباط وانسجام مع المعايير والقيم والحركة العامة للمجتمع على حد سواء وذلك ما يسميه علماء الاجتماع بالاندماج **l' integeration**

إن العائلة الموسعة مكنونة من عدة بنيات أسرية على أساس روابط الدم على وجه الخصوص وهي المجال الذي يسمح للفرد بالإشباع النفسي العاطفي الفيزيولوجي، وهذا الإشباع يعيشه الفرد لا كفرد إنما كعضو محدد الدور في العائلة الموسعة إن لمفهوم الذات بعدين:

– بعد تقتضيه المكانة الاجتماعية مثل دور المسن في العلاقات بين الكبير والصغير

– بعد تحدده الأعراف مثل الانتماء إلى فئة اجتماعية معينة اقتصاديا ن طبقيا أو كالنسب عائلة شريفة أو مرابطة كما هو الحال عندنا في الجزائر في إطار العائلة الموسعة يكون للفرد دور وهذا الدور هو الذي يسمح له بتحقيق الانسجام داخل النسق العائلي، كما يسمح له بعد ذلك بتحقيق الاندماج في المجتمع وذلك لان دور ومكانة الفرد يتحددان أولا داخل العائلة الموسعة باعتبارها مجتمعا مصغرا ثم في المجتمع.

هذه المكانة الاجتماعية والاندماج الكلي في العائلة الموسعة يسمحان بالاندماج الكلي في المجتمع على أساس أن التنشئة تمت في ظروف عادية وتعتبر بالتالي ناجحة، أي موافقة للأغراض العامة للمجتمع وبالنسبة لهذا المجتمع فقط ن بحيث تجعل الفرد يعيش التوازن مع متطلبات العائلة الموسعة من جهة ومقتضيات المجتمع من جهة ثانية.

إن التوازن يعني غياب التوتر الداخلي للعائلة وعدم وجود صراع بين الفرد ومحيطه ولكنه يعني بالخصوص إن للفرد دور يلعبه وهذا الدور هو الذي يحدد له مكانته داخل المجتمع الكبير، وبما أن للفرد مكانة فهذا يعني أن للفرد وجود اجتماعي (أي كما يقول علماء النفس وجود إمكانية تحقيق الذات **la possibilité de la réalisation de soi** وهي غاية كل إنسان وذلك ما تسمح بتحقيقه العائلة الموسعة. (إبراهيم بويحياوي، مرجع سابق، ص، **298– 299**).

إن تحديد الدور والمكانة للفرد من الحتميات التي تفرضها طبعة العمران والاجتماع الإنساني على النظام العائلي الذي يمثل نسقا متكاملا سواء على المستوى الاقتصادي أو الثقافي.

فالانتحار مثلا كان قليل في المجتمعات الأكثر اندماجية بسبب إن الفرد لم يعرف

المواجهة مع النظام العام للمجتمع ولا عرف كبتا نظرا لكون المجتمع من خلال العائلة الموسعة كان يحقق له الرغبات الأساسية ولم يكن يشعر بالوحدة التي يشعر بها الإنسان اليوم وكان الفرد ذاته مقتنعا بالدور والمكانة اللذان ترسمهما له عائلته، على العكس من هذا فان العوارض المرضية تظهر لأن الأسرة النواة وهي الوسط الأولي للإنسان المعاصر صارت غير قادرة على أن ترسم بوضوح الدور والمكانة للفرد، كما كانت تقوم به العائلة الموسعة، من هنا تلعب الرغبات الفردية الناتجة عن التجربة الخاصة للفرد في مواجهة ما يقترحه المجتمع على هذا الفرد، دورا أساسيا في تحديد السلوك والمواقف وهذا ناتج عن ما يقوم به الفرد من مقارنة بين ما هو عليه (إحباط عام) وما يمكن أن يحققه بمفرده (التمرد).

إن العائلة الموسعة من حيث هي نظام اجتماعي كانت توفر للفرد تحقيق رغباته من زواج وعمل مقابل ذلك يجد الفرد نفسه في إطار عاقات اجتماعية محددة، وهو قابل لها دون أدنى تردد، سواء على المستوى الاقتصادي آو التنظيمي، مثل تقسيم العمل واحترام السلطة.

لكن مع التغير العام للحضارة، ابتداء من النظام الاقتصادي وظاهرة العمل المأجور إلى العمران وظاهرة المسكن الذي لا يسع إلا الزوج والزوجة وولدين أو ثلاثة، حصل تغير في السبل لتحقيق الغذاء والأمن فان كان مفهوم الغذاء دقيق فان مفهوم الأمن واسع ويشتمل توفير كل الرغبات التي يتطلبها العصر.

إن كانت العائلة الموسعة هي التي تمنح الحماية للفرد من كل المخاطر الاجتماعية مثل الانحراف، يعرف المجتمع أن العائلة الموسعة كانت تلعب دورا كبيرا في حماية الفرد من خلال المراقبة الاجتماعية من الانحراف ومن البطالة فان الأسرة الزواجية وهي البنية المتكونة من الزوج والزوجة والأولاد في حالة وجودهم قد تكون سببا في ظهور الحالات الشاذة وبالتالي العوارض المرضية و العوارض المرضية هي ذات صنفين:

1-الظواهر الاجتماعية – المرضية بالطبع (أي ترمي إلى تحقيق غرض من الأغراض الاجتماعية، اقتصادية كانت أو سياسية بطرق ووسائل مع ماهر مقنن من طرف المجتمع)

2- الظواهر الفردية كالأمراض النفسية

- أما الصنف الأول فهو الذي يعالجه علماء الاجتماع عامة، وعلماء النفس الاجتماعي بالخصوص وغالبا ما تدخل هذه الظواهر تحت عنوان "الظواهر الأنومية"

- أما الصنف الثاني فهو من اختصاص علماء النفس بما لهذا العلم من تخصصات وفروع مثل التحليل النفسي والطب النفسي (إبراهيم بويحياوي، مرجع سابق، ص، **299- 300**).

إن القدرات الشخصية في مواجهة الأوضاع غير العادية التي تتطلب موقف طارئ أو موقف يكشف شخصية الفرد الحقيقية وبالتالي قاعدته النفسية الاجتماعية هي التي تؤدي بالفرد أما إلى

الحالة المرضية أو مقاومة أسباب المرض، لا شك أن المرض النفسي مثلا له أسباب ترجع إلى الطبيعة السيكولوجية للإنسان عموما لكن الدوافع التي تحدد ظهور المرض موجودة في الطريقة التي ينشأ عليها الفرد موجودة في الاستعدادات المكتسبة من الوسط الأسري وفي محتوى وطبيعة التنشئة الاجتماعية، إن النظام الأسري نظام يتحرك داخل المجتمع الكبير والعلاقات القرابية ضعيفة بسبب عوامل كثيرة أهمها الطبيعة الفردانية **Individualaliste** لنموذج المجتمع الذي فرضته عالمية الحضارة الحالية وبالتالي فان الأسرة تضمن للفرد الحاجات الأساسية إلى سن معينة ولكن بعد تلك السن يتحتم على الفرد أن يلبي حاجيته بنفسه وما اكثرها وما أصعب تحقيقها عندما يعجز الفرد في تحقيقها ويقتنع أن مصدر الحماية والتي هي الأسرة غير قادرة على تحقيق الحماية المتمثلة في تحقيق الرغبات والحاجيات فان الفرد يواجه صعوبة فإما أن يفر منها من خلال السلوكات الانتقامية على الذات وإما أن يتحدى المجتمع ويبحث عن السبل غير المشروعة وغير المعترف بها اجتماعيا لتحقيق هذه الحاجات باستعمال العنف مثلا.

الصحراء الجزائرية اليوم هي حضرية بالدرجة الأولى، إذ لم تعد تلك الواحة كما كانت عليه منذ ماض قريب، حقيقتها العمرانية والاجتماعية تؤدي بنا إلى الوقوف على ساحة من التحولات الاجتماعية العميقة والمتسارعة الواقع الإحصائي يثبتان أن **80**/ من سكان الصحراء باتو حضريين هذا الواقع لم يتكسر إلا في العشرينات الأخيرة من خلال ما عرفته مدن الجنوب الجزائري من ديناميكية عمرانية تفوقت حتى على مدن الشمال (**Cot : 1998 , p 89**)، وتحولات اجتماعية لمجتمعات الصحراء التي بدأت منذ الفترة الاستعمارية والمستمرة إلى اليوم.

إن الملاحظات الميدانية والتحليل السسيو–انثر وبولوجي للمجال الاجتماعي لمدينة تقرت وهي أهم مدينة في إقليم وادي ريغ يوفر نموذجا مكتملا لمحاولة تفسير العلاقات الاجتماعية والمجالية الجديدة الناتجة عن تحولات البنية الاجتماعية والحركية الاجتماعية.

تقرت المدينة التاريخية (**Feraud , 1879 , p 45**) التي تنطلق عليها أوصاف المدينة العربية الإسلامية تتكون أساسا من أنسجة عمرانية مهيكلة انطلاقا من مجموعة تجهيزات مركزية عامة تنطلق من المسجد الجامع المتصل بسماء والمتفتح على ساحة السوق الرئيسية والمتاجر آو حوانيت الصناعة التقليدية لتتفرع للشوارع الرئيسية المغطاة والمنطلقة من المركز إلى أطراف المدينة تنتهي عند الأبواب الرئيسية (باب السلام، باب الخضرة، باب الغدر) تمثل هذه الفضاءات شريان الحياة الاجتماعية العامة باتحادها مع الساحة العامة تشكل المجال العام مجال المرور والنشاط والالتقاء للسكان أو الوافدين على المدينة في مدينة نقرت بالخصوص يمكن التميز بين نوعين من السكن التقليدي، السكن الذي وجد في النواة الأصلية مستاوة المدينة التاريخية والذي بحكم المدينة كمركز سياسي لحكم أسرة مشايخ بني جلاب ومركز تجاري ارتبط

بحركة قوافل التجارة والعلاقات مع المحيط الجهوي البعيد وأيضا القبائل البدوية أما بقية القصور فقد ارتبطت أصلا بثقافة زراعة النخيل وضمت السكان المحلين الحشاشنة مما يجعلنا نميز بين نوعين من السكن التقليدي حتى وان كان هذا التميز غير عميق اذ تبقى السمات الأساسية والمحددة تبقى موحدة بالنسبة للنوعين وبين النوعين هناك قواسم مشتركة ومركبة بين الثقافة المحلية الفلاحية وتأثيرات المحيط الخارجي، السمة البارزة التي طبعت منطقة السكن في هذه المنازل قبل انهيار الحدود الثقافية بين المجتمعات في حدود القرن 19 (Hassan , 1985 , p 64)، نلاحظ أشكالا وتفاصيل هندسية محلية كانت ثمرة التزاوج المتناغم بين مخيال هذا المجتمع المحلي والشروط البيئية المحلية وثقافة المعيش والمخيل العربي الإسلامي.

4- مجتمع صحراوي مهيكل متنوع متكامل:

قامت علاقات تاريخية طويلة بين مجتمع فلاحي الواحات وقبائل البدو في الصحراء على أساس تكاملي يظهر في تقاسم العمل والمقايضة والمبادلات والحماية، علاقات دامت طويلا زمن ازدهار القوافل التجارية، يظهر في قوة من التماسك الاجتماعي الذي كان قائما بين البدو الرحل من التجار أو المحاربين اوالرعاة المربين الذين يضمنون المبادلات وحركة السلع وحماية القصور في إطار من التحالفات والولاءات، القصور وسكانها من الفلاحين ونخب المدن من الاقطاعين والملاك الكبار الذين يجمعون الفائض من المبادلات التجارية عن طريق المساهمة في تجارة القوافل العابرة للصحراء لإنشاء المزيد من حقول النخيل والملكيات الوحاتية التي هي أساس حياة المجتمعات الحضرية في الصحراء، هذا النظام الذي وصفه Copet Rey في كتابه حول الصحراء (Rey,1953 , p 564) أين كانت الوضعية تتميز بديمومتها التاريخية بما يقرب من الألف سنة من هذا النظام الذي عزز التعاون الاقتصادي الاجتماعي.

5- أهم التحولات:

في ظرف الأربعين سنة الماضية تضاعف المجتمع في هذه المدن تضاعف سكان مدينة تقرت كان جد مهم من سنة 1960 إلى 1998 يتضاعف عدد السكان ست مرات وفي الولاية ورقلة يتضاعف الى 15 مرة في نفس المدة (الديوان الوطني للإحصاء) الدافع الأول والهام لهذه الزيادات يرجع إلى الزيادة المفرطة في المواليد من جهة، كباقي جهات الوطن وأيضا يعتمد على قوة جذب سكاني من مختلف مناطق الوطن بحثا عن التشغيل، كما لعب تمدين البدو دورا كبيرا في تضخيم هذه الزيادات الطبيعية والغير طبيعية.

القصور أيضا شهدت تدهورا كبيرا وتحولا عميقا، نلاحظ أن معظم السكان استفادوا من سكنات جديدة في أحياء مختلفة والعائلات التي استفادت من السكن لم تتحول في مجملها بل احتفظت بسكناتها القديمة والتي بقي فيها جزء من الأسرة أو قامت بكرائها في طور التمدن أو

القادمين الجدد من التل أو من الاوراس التطور العمراني في الصحراء فرض على السكان استراتيجيات سكنية جديدة شجعته السياسة العمومية وساهم في بناء هويات اجتماعية جديدة، المدينة اليوم تتوفر على أحيائها السكنية الراقية الفيلات المنجزة بهندسة مختلفة كان الهاجس الكبير في انجازها هو إبرازها الثروة وتطور المضاربة العقارية التي تؤدي إلى ظهور أحياء متمايزة اجتماعيا وعمرانيا مساكن عائلية في معظمها أنجزت بتكاثف جهود الأسرة من توفير وادخار ومساهمة الأبناء الكبار، بيع مجوهرات الزوجة وعمل الأبناء، المسكن القديم يتم كرائه أو استعماله في وظائف تجارية ليساهم مدخوله في توسيع المنزل الجديد وإتمام بناؤه، هذه الشكل من الممارسات هي العنصر الغالب الآن في التمظهر العمراني الجديد.

6-من العائلة إلى الأسرة / دلالات التعايش الاجتماعي:

لمحاولة فهم الهياكل الأسرية وأنواع التعبئة في المجال في مدن الواحات المتميز بتجاور مجموعات اجتماعية تركيبتها من السكان القرويين إلى البدو المتمدنين الوافدين من الشمال أحياء تعبر عن نماذج اجتماعية متمايزة كواقع اجتماعي يخلق أوسط اجتماعية موزعة على أحياء المدينة انطلاقا من المعطيات النوعية والإحصائية بالنسبة للأسرة، سواء بالنسبة لمجتمع الفلاحين القدامى أو البدو المتمدنين وإعادة التركيب أظهرت أنواعا جديدة من التعايش داخل المجال السكني ساهمت في رسم ملامحه أزمة السكن بدرجة كبيرة أصبحت تمس المنطقة كغيرها من مناطق الوطن إن نظام الأسرة والتي يفرضها التحول العمراني والحضاري إنما هي بنية لايمكن أن تعمل بمعزل عن المجتمع قد تجد تكاملها وانسجامها في إطار النسق الاجتماعي المتكون من المدرسة والإعلام والجمعيات والنوادي لمواجهة العوارض المرضية بصنفيها الاجتماعي والفردي فالآسرة الزواجية غير قادرة على القيام بالدور الذي كانت تقوم به العائلة الموسعة للأسباب التي ذكرناها سابقا إضافة إلى أسباب أخرى كتقليص العلاقة بين الوالدين وأبنائهم بسبب مشاغل الحياة من عمل آو تجارة آو غير ذلك، كذلك تطلعات الأبناء من جهة ومشاريع الآباء من جهة أخرى والتي يصدر منها ما يسمى بصراع الأجيال.

كخاتمة

في الختام يمكن أن نقول إننا لم نوفي الموضوع حقه لا انه يمكن تلخيصه في النقاط التالية :

1-للشخصية القاعدية أهمية في مواجهة المواقف التي تفرض على الفرد فإذا كانت تسمح له قدراته الشخصية' (قدرات نفسية ومعرفية) والتي توفرها التنشئة الاجتماعية في حل المشكل وإلا اختار عرض من الأعراض المرضية كحل وسط توفيقي.

2-إن النظام العائلي هو نظام مرتبط بطبيعة المجتمع كانت كل الوظائف الاجتماعية التي تقوم بها العائلة الموسعة تعمل على إدماج الفرد في المجتمع الكلي وتحقيق حمايته بتوفير الحاجيات الأساسية له كما كانت تحدد له الدور والمكانة داخل المجتمع يخرج الدور بنفس هذه المكانة وهذا الدور إلى الحياة العامة فيتحقق التواصل بين العائلة والمجتمع.

3-الأسرة الزواجية نظام تفرضه الحضارة الحالية لكنها لا تسمح للفرد بأن يحقق كل متطلباته أو أهم المتطلبات الحضارية بسهولة وصارت المكانة والدور يتحددان خارج الأسرة ولذلك يبحث عنها الفرد بشتى الطرق والوسائل.

4-إن العوارض المرضية ناتجة عن الانتقال من النمط الأول إلى النمط الثاني دون يلعب المجتمع المدني دوره في سد الفراغ الذي تركه النظام السابق.

إن الإنسان هو الوحيد الذي يختار مواقفه ولكن ليس له أن يختار المرض آو العنف إلا إذا فقدت المؤسسات الاجتماعية أثرها في توجيه السلوك الفردي في إطار العلاقات الاجتماعية ومن هنا يمكن لنا أن نفتح الموضوع على دور المدرسة والإعلام والجمعيات والنوادي في تحقيق ما لم تستطيع ان تفعله الأسرة الزواجية بمفردها وهو تلقينه ليس المعرفة وإنما اكتشاف طرائق حل مشكلاته وتحقيق ذاته بهدوء.

قائمة المراجع:

العربية:

1- إبراهيم بويحياوي التنشئة الاجتماعية وظهور العوارض المرضية، التغيرات الأسرية، التغيرات الاجتماعية، فعاليات الملتقى الثالث قسم علم الاجتماع، منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة الجزائر 2006.

3- الديوان الوطني لمكافحة المخدرات وإدمانها، التقرير السنوي، الجزائر، 2001.

2- جمعة سيد يوسف، النظريات الحديثة في تفسير الأمراض النفسية، دار غريب للطباعة والنشر، القاهرة، 2001.

3- مجدي أحمد محمد عبد الله، علم النفس المرضي، دراسة في الشخصية بين السواء والاضطراب، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1999.

4- محمد بومخلوف، نمط الأسرة الجزائرية ومحدداته، دراسة إحصائية وتحليل نظري التغيرات الأسرية، التغيرات الاجتماعية، فعاليات الملتقى الثالث قسم علم الاجتماع، منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة الجزائر 2006

5- عبد الفتاح أبي مولود، إدراك المعاملة الوالدية وعلاقتها بالاكتئاب النفسي لدى الطلبة الجامعيين، رسالة ماجستير غير منشورة مودعة لدى جامعة الجزائر،2000

6- محمود عبد الرحمن حمودة وإلهامي عبد العزيز، دراسات وبحوث في علم النفس، دار الفكر القاهرة، 1992.

7- مديرية الصحة لولاية ورقلة، التقرير السنوي للصحة النفسية والعقلية لولاية ورقلة، الجزائر، 2003

8- عبد الكريم قريشي وعبد الفتاح أبي مولود، العنف في المؤسسات التربوية، دار هومه، الجزائر، 2004.

9- سامر جميل رضوان دراسات في الصحة النفسية، 2004 دارا قباء للنشر

الأجنبية:

10- Copot REY , le sahara francais , puf , 1953 paris

11- Fathy hassan, construire avec le peuple, histoire d'un village d'egypte, 4 edi paris 1985.

12- Fraude (l ,ch) note historique sur la province de constantine – le ben-djellabe , sultans de touggourt , revue africaine n 23 1879

13- REYNAUD. M & BERGERET. J, Signer la folie. ed FRISON ROCHE. Paris. 1998.

14- Marc COT, dynamique urbaine au sahara, revue algérienne dentropologie est sciences sociales n 05 mai Aout 1998